يطلقه »(٦٢٧) ولطاهر بن الحسين توقيعات كثيرة في كتاب بغداد لابن طيفور، منها انه وقع في قصة رجل محبوس: « يخرج ولا يحوج ».. وفي قصة قاتل: « لايؤخر قتله ». وفي قصة لص: « ينفذ حكم الله فيه »(٦٢٨)

وقد بسط عدد قليل من الكتاب في توقيعاتهم فبلغت عدة أسطر او مقدار الرسائل المعتدلة. من ذلك ماكتبه محمد بن عبدالله بن طاهر في رقعة اعتذر اليه فيها رجل من شيء بلغه عنه. فرأى خطه قبيحاً: « أردنا قبولَ عُذرك فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبيح خطك. ولو كنتَ صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركةُ يدك. أو ماعلمتَ أنَّ حسن الخطِ يناضلُ عن صاحبه بوضوح الحجةِ. ويمكن له دَرْكُ البغية ؟ »(٦٢٩)

نشر المؤلفات أو المصنفات :

نشط العلماء والادباء في التأليف وتدوين العلوم والمعارف في العصر العباسي الأول نشاطاً كبيراً. ورفدوا المكتبة العربية بتراث جليل ونفيس أفاد جيلهم والأجيال اللاحقة في التعليم والتثقيف وتربية العقول. ففي مجال الادب برز عدد كبير من المصنفين. ومن اشهرهم الجاحظ صاحب المؤلفات الكبيرة ولاسيما البيان والتبيين والحيوان. وابن سلامٌ الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء. والمبّرد صاحب الكامل. وابن قتَيبة صاحب الشعر والشعراء. وابن المعتز صاحب طبقات الشعراء ... وقد حرص هؤلاء المصنفون على تقديم موادهم بأسلوب واضح ولغة سهلة فصيحة يفهما القاريء بلا عَناء ولا مشقّة.

وكانت الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية نشطة ايضاً. وقد برز كثير من العلماء في ميادينها أمثال: سيبويه. والكسائي. والفراء. وثعلب. والمبرد...

واتجه فريق آخر من الكتاب والمؤلفين الى المغازي والسير وصنفوا كتباً قيمة فيهما. ويعد محمد بن اسحاق شيخ المصنفين. فله السيرة المشهورة التي استخرجها الامام ابو محمد عبدالملك بن هشام وعرفت به وشاع ذكره بها. والواقدي صاحب المغازي.. ومحمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ... واشتهر بتاريخ العرب هشام

---

(٦٢٧) العقد الفريد ٤ : ٢٢٠.

(٦٢٨) كتاب بغداد ص ٧٣.

(٦٢٩) جمهرة رسائل العرب ٤ : ٤٦٢.

التوقيعات :

وهي الهوامش او الملاحظات التي يكتبها الخلفاء والولاة والوزراء والقواد والقضاة على الكتب الرسمية او الشكاوى المرفوعة اليهم من افراد الشعب . وتمتاز بجمال الاسلوب والايجاز الشديد والبلاغة المتقنة . وقد وصلت الينا مجموعة كبيرة من هذه التوقيعات في الكتب الادبية والتاريخية . ولاسيما في العقد الفريد لابن عبد ربه .(٦٢٢) من ذلك توقيع الخليفة السفاح في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : « من صبر في الشدة شارك في النعمة » . وتوقيع الخليفة المنصور على كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم : « لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا » . وتوقيع الخليفة المهدي على كتاب أتاه من صاحب أرمينية يشكو سوء طاعة رعاياه : « خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين » . وتوقيع الخليفة الرشيد الى عامله على خراسان : « كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه » . ومما يروى عن الخليفة المأمون أن ابراهيم بن المهدي كتب اليه في كلام له : « ان غفرت فبفضلك . وان أخذت فبحقك » فوقع في كتابه : « القدرة تذهب الحفيظة . والندم جزء من التوبة . وبينهما عفو الله » .

وكانت التوقيعات تشيع بين الناس . يتناقلونها ويحفظونها . وقد اشتهر جعفر بن يحيى بها . قال الجهشياري : « كان جعفر بليغاً كاتباً . وكان اذا وقع نسخت توقيعاته وتدورست بلاغاته »(٦٢٣) . ومن توقيعاته الى احد العمال : « قد كثر شاكوك . وقلّ شاكروك . فاما عدلت . واما اعتزلت »(٦٢٤) . وكان يقول للكتاب : « اذا استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا »(٦٢٥) . وكذلك اشتهر الفضل بن سهل ذو الرياستين بتوقيعاته البليغة . مثل توقيعه على كتاب مظلوم : « كفى بالله للمظلوم ناصراً »(٦٢٦) . وعرف أخوه الحسن بن سهل ايضاً بالتوقيعات الدقيقة . مثل توقيعه على كتاب لامرأة حبس زوجها : الحقُ يحبسه . والانصاف

---

(٦٢٢) العقد الفريد ٤ : ٢١١ ـ ٢٢٣ .

(٦٢٣) الوزراء والكتاب ص ١٥٨

(٦٢٤) العقد الفريد ٤ : ٢١٩

(٦٢٥) زهر الاداب ١ : ١٥٧ وينظر الوزراء والكتاب ص ١٥٥

(٦٢٦) العقد الفريد ٤ : ٢٢٠

الأسواري . وكان من أعاجيب الدنيا ... وعمرو بن فائد . كان حافظاً للسير ولوجوه التأويلات . فكان ربما فسّر اية في عدة أسابيع ... وكان يقصّ في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك ... ثم قصّ من بعده القاسم بن يحيى . وهو أبو العباس الضرير . لم يدرك في القُصّاص مثله »(٦١٧) وهؤلاء القُصّاص كانوا يعنون بالأسلوب وضبط الكلام وطريقة الالقاء كي يُقبل عليهم الناس ويلتفّو حولهم وينصتوا اليهم . قال الجاحظ عن الفضل بن عيسى الرقّاشي : « كان شجاعاً في قصصه . وكان عمرو بن عُبيد وهشام بن حسان . وأبان بن أبي عيّاش . يأتون مجلسه ... وقد كان عبدالصمد بن الفضل . وأبو العباس القاسم بن يحيى . وعامة قُصّاص البصرة . وهم أخطب من الخطباء . يجلس اليهم عامة الفقهاء »(٦١٨)

٣

ويمكن أن نضيف الى ماسبق الحكايات التاريخية التي يندر فيها الحوار وتأخذ طابع السرد المباشر . مثل قصة انتقام قصير بن سعد اللخمي لجذيمة الأبرش الذي صرعته الزباء ملكة تدمر .(٦١٩) وقصة معركة القادسية التي صوّر فيها ابو حنيفة الدّينوري احداثها تصويراً دقيقاً كما وقعت بين المسلمين والفرس من غير تعمل او افتعال . وقد تماسكت فيها الاحداث وان اشتملت على حكايات فرعية مثل حكاية طلحة بن خويلد الاسدي الذي بعثه سعد بن أبي وقاص ليأتيه بخبر الفرس . فذهب وتحرّى المكان المطلوب واصطدم بعدد من الخصوم وعاد ومعه احدهم اسيراً . وقصة أبي محجن الثقفي الذي خرج من سجنه للقتال بعد أن ركب فرساً بلقاء بمساعدة زوجة سعد بن أبي وقاص . وقاتل قتال الأبطال وأثخن الجراح في الأعداء وعاد ظافراً مرفوع الرأس .(٦٢٠)

وتجدر الاشارة هنا الى أن هناك حكايات لبعض الأطباء مع مرضاهم فيها نوادر ظريفة وحيل طريفة . وقد نقل لنا علي بن سهل الطبري طائفةً منها في كتابه فردوس الحكمة .(٦٢١)

---

(٦١٧) البيان والتبيين ١ ، ٢٦٨ .

(٦١٨) البيان والتبيين ١ ، ٢٩٠ .

(٦١٩) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية ص ٢١٦ نقلاً عن كتاب (أمثال العرب) لابي عبيد القاسم بن سلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٧٩٩ ز .

(٦٢٠) الأخبار الطوال ص ١١١ وما بعدها .

(٦٢١) طبع في برلين سنة ١٩٢٨ بتصحيح الدكتور محمد الصديقي .